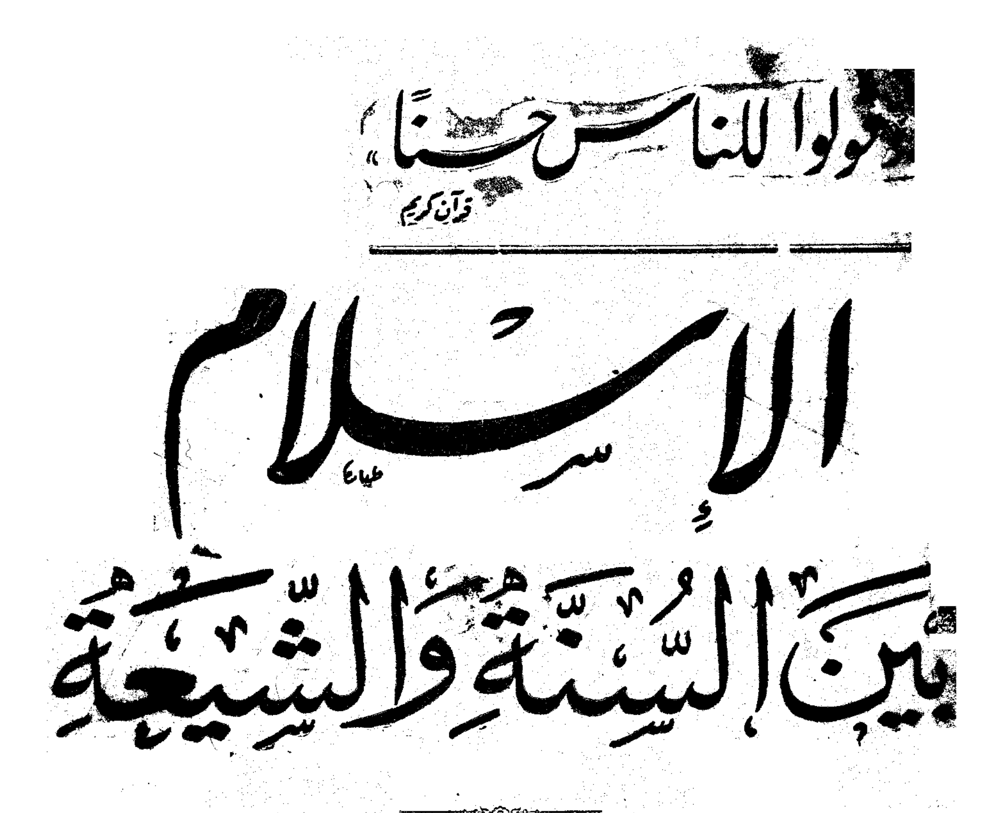


تأليف الاستاذين في كلية فاروق الاول الشرعية في بيروت

هاشم الدفتردار المدني و محمد علي الزعبي

صدر عن دار الانصاف

للتأليف والترجمة والنشر

١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

الطبعة الاولى

مطبعة الانصاف - بيروت - شارع المعرض

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء إفتتاح الصلاة اليوميّة

«وَجهتُ وَجْهي للذي فَطَرَ السّموات وَالارضَ حَنيفًا مُسْلمًا وَمَا أنا مِنَ المشركين ، إنّ صَلاتي وَنُسُكي وَمحيايَ وَمَماتيَ لله رَبِّ العالمينَ ، لاشريكَ لَه وَبذلكَ أمرتُ وَأنا مِنَ المسْلمِين»

* * *

ألا إن التوجه بالاحساس العميق ، والعقل النير الساطع ، والضمير الحي ، والقلب المنيب الواعي ، لدى العبادة والضراعة الى فاطر السموات والارض ، وخالق الحياة والاحياء ، وموجد الأشباح والأرواح ، والمادة والمعنى ، هو واقع كل وحي إلهي وروحه وقوامه ، ومن أجله أرسل الله أنبياءه ، وأنزل عليهم وحيه .

وإذا كانت الوثنية هي التوجه لدى العبادة الى أشياء عوالم الوجود المادية أو المعنوية ، فان الاسلام بمعناه وحقيقته ، كما أوحاه الله الى الرسل جميعاً في كل الأديان ، هو التوجهُ الى خالق الوجود وحده .

فهذا التوجه المشع في كل وحي إلهي ، هو الذي يقارب بين القلوب ،

ويجذب النفوس الى النفوس والعقول الى العقول، بالمودة والثقة والتسامح والاخاء العام ؛ وهو الذي يوجه الجميع في صلواتهم وعباداتهم الى جلال الله الخالق الحق الأزلي، ويوحدهم بالثقة والعمل المشترك في محرابه المقدس

ولا ريب أن من ينظرْ الى الأديان السماوية من نافذة الوحي الالهي، يتسع عقله اتساع السماء ؛ وتصفُ نفسه صفاءها . وتشرق روحه إشراقها، فيصبح إنسانا « إنسانا » !! . ومن ينظر اليها من كوى الفروع الضيقة ، وأغلال طفيلياتها ، وتباين شروحها ، تظلم الدنيا في وجهه ، ويصبح صدره ضيقاً حرجاً ، ونفسه متحجرة كزة ، لا يحب أن يشاهد عابداً لله سواه ، يسعد بروحانية التقرب اليه ، وينعم بشرف الأسوة بأنبيائه . خشية أن يشاركه — في نيل رضوانه تعالى، أو يزاحمه — في الجنة .

هذا التوجه الذي لمسناه في كل عوالم الوجود، كما لمسناه في كل وحي إلهي ، هو الذي دفعنا الى السهر في وضع مؤلفاتنا الحديثة ، للكشف عن حقيقته للناس جميعاً . أجل هي حديثة بالنسبة لما اعتاد الناس قراءته من مؤلفات ، وإلا فهي قديمة جداً ، لأنها منبثقة من كلام الله الذي لا أول له، ولئن رأوها خالية من كل شر وضيق وتحجر وظلم وكذب وتعصب . وعهدُهم في أكثر المؤلفات ، أنها لا تخلو من خير وشر ، وسعة وضيق ، ومرونة وتحجر ، وعدل وظلم ، وصدق و كذب ، وتساهل وتعصب، فان فضل ذلك يرجع الى ايماننا الصادق بوحي الله ، واقتدائنا برسل الله ايمانا واقتداء عمليين . لهما كبير الكبت على غرائزنا وأميالنا ، واتجاهات نفوسنا وعقولنا .

أجل نالنا شرف كبت هدى الوحي في قول الله تعالى : « وقولوا للناس حسنا » وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقلْ خيراً أو ليصمتْ » .

وليس بعيداً أن يتحامل بعض السطحيين ، الذين لم يتعمقوا في دراسة القرآن المجيد ، ولم ينعموا أنظارهم في مواضيعه الرائعة التي استعرضنها ، إذا شاهدوا كتابنا يتناول في فصوله الأديان السماوية الأخرى ، لأنهم يجهلون الباعث لنا على مثل هذه البلبلة التي يوصموننا بها ، ويا ليتهم علموا أننا نقتدي بالله سبحانه ، لأنه لم يفرق في وحيه بين كتبه ورسله ، لدى ذكرهم والتحدث عنهم ، ولعلنا لو رحنا نستقصي لهم البحوث التي دارت في العهد القديم حول آدم وإدريس ونوح وإبراهيم ، وما كان لهم ، وما كان منهم ، والبحوث التي جاءت في العهد الجديد ، وفي القرآن الكريم ، لوجدناها تربو على نفس البحوث التي تدور حول صاحب الوحي نفسه ! مما يدل يقينا على وجود الوحدة بينهم

وحسبهم أن يأخذوا مثلا موضوع يوم السبت ، الذي لا يعنى به كثير من المسيحيين والمسلمين في عصرنا ، ، حيث يجدون أن ذكره جاء في الانجيل في ثمانية وأربعين موضعاً . كما جاء في القرآن : في البقرة مرة ، وفي النساء مرتين ، وفي الأعراف مرتين ، وفي النحل مرة. وهكذا ...

وإنا نطمئن أولئك أنا سنضيف أيضاً الى كتابينا «اليهودية والنصرانية» البحوث الاسلامية ، لأن الجميع كما ذكرنا في كتابنا « دين إبراهيم » يرجعون الى زيت شجرة واحدة ، شجرة الوحي العليا التي أصلها ثابت ،

وفرعها في السماء . على أن الذي نهدف اليه بمؤلفاتنا ، هو دراسة وحدة الوحي الالآهي وتطوراته ، وحقيقة الايمان بخالق الوجود الماثلة فيه . وهذا بضرورة الحال ، لا يجعلنا نقتصر على دراسة دين بعينه . ولو أن علماء الأديان كافة ، انطلقوا من أغلال تقاليدهم ، وجواذب وراثاتهم ، ومجاملاتهم للعامة والأغمار ، وأعشار المتعلمين ، لوجدوا أضواء الوحي الالآهي تغمرهم جميعاً ، وللسوا وحدة العقيدة الدينية تضمهم اليها ، بل لما وجدوا بينهم حواجز الأرض ، وخصومات أساطيرها ، وضيقها في أنفسهم ، ووحولها التي شوهت وجه الوحي المشرق الصافي الجميل .

أجل لولا كل ذلك ، لما وجدنا إنساناً واحداً ينادي جهرة بنسبة الأديان السماوية ، الى مناقضات أساطير الأمم البائدة ، ويوصم أنبياء الله صلوات الله عليهم ، بأنهم طالبوا خلوذ ورياسة !! حاشا لله . . .

وكم يسعدنا إذا رأى قراؤنا من أهل الأديان وفروعها ، الذين هم أعمق منا درساً ، وأوسع إحاطة شيئاً يخالف واقع المعرفة ، وحقيقة الوحي الالآهي ، أن يبادروا بارشادنا اليه ، لكي نقلع ونأخذ بارشادهم ، فنحن لا صلة تربطنا بشيء مما كتبنا إلا اجتهادنا العلمي المحرر ، وطمأنينة قلوبنا ، أنه واقع المعرفة والحق : أي واقع المعرفة والحق الذي من أجله أرسل الله الرسل ، وأوحى الكتب المقدسة ، لذلك إذا ظهر لنا من كتاباتهم الينا أن الحق والواقع خلاف ما كتبنا عدلنا عنه حالا ، وطرحناه غير آسفين ، لاننا نعلم يقيناً أن رضوان الله لا يعطي لمؤيدي الباطل أبداً . هذا محال هذا محال .

وأخيراً نعلن أن الطبيب الكبير السيد خالد عطوى نصيف حدثنا ، أنهم في أميركا أدركوا حقيقة وحدة الوحي الالآهي ، وحققوا إدراكهم فيما بينهم عمليا ، فهم إخوة متحابون متسامحون متفاهمون ، يعملون مجدين لخير الانسانية وهداها ، وقد قام على رأس جمعيتهم السيد مسعود في كندا كما جاهد في سبيل ذلك الكتاب النبلاء في صحفهم ، منصور شقير وفريد صواف وسعيد فياض ، والاخوان أحمد ياغي وجميل سليمان وحسيب حمدان وسليمان عزام وسليم شقير وحسن وهبه الصائغ ورشيد سعيد صلاعب وسواهم كثير كثير .

ولعلنا نتساءل،أما نحن وهم سواء في كل وراثاتنا وتقاليدنا وخصائصنا؟ فما بال أعمالهم تمتاز على أعمالنا في سمو نزعتها الاجتماعية الخيرة ؟! كيف كيف لا تمتاز !!؟ وقد طهّر العلم الصحيح ابن التجربة والواقع عقولهم ؛ وطهرت الانسانية ابنة الأعراق الطليقة من الاحقاد الوضيعة ووراثاتها نفوسهم ، وطهر التسامح النير سليلُ المثل العليا قلوبهم .

ولن نجد باعثاً لنفوس شبابنا في الشرق ، على إيثار الوحدة الانسانية العملية المنتجة ، أقوى من اظهارهم على حقيقة وحدة الوحي الالآهي، كما هي في منابعها الأولى المقدسة ، خشية أن يتسرب الى نفوسهم أن شأنه الشقاق ، والتنابذ بالألقاب ، وقتل الروح الانسانية الكريمة ؛ المركزة على أمجاد الحضارة والعلم .

على أن بوادر تطور عقلية شبابنا في الشرق ، وإخلاصهم لله والوحي والانبياء والعلم وواقع المعرفة ،أخذت تعطي ثمارها الناضجة الجيدة متقدمة بها الى الانسانية جمعاء .

بيروت في ١٦ رمضان ١٣٦٩ الموافق ١ تموز ١٩٥٠

هاشم الدفتردار المدني و محمد علي الزعبي

